وقدت ثوبها وصرخت مولولة ، « يا شحار خدك يا حسنية بعدك يا لافـــي » ، وتعالت صرخات النسوة اللواتي سمعن ورأين حسنية ، تصرخ وتلطم خدودها، فخرجن يولولن هن الاخريات وشعورهن محلولة وثيابهن مقدودة ، في اتجـاه مقام سيدي الشيخ حامد ، خاصة بعد ما رأين حسن المعتوه ينضم اليهن هـــو الاخر وراح يقرع تنكته وهو ينتحب ، حين سارع الى اقناعهن ان الشيخ لافـي لم يمت ولا يزال حيا يرزق ، الا انه لم يستطع السيطرة على نفسه فراح يلطـم خده هو الاخر وينتحب سائرا امامهن ٠

الا انهن ما كدن يصلن الى الزقاق المؤدي الى مقام سيدي شيخ حامد ، حتى كان الدراويش يندفعون نحو ساحة القرية بالطبول والصنوج ، واعلامهـــــم الخضراء ترفرف امامهم مرددين بصوت واحد « لا اله الا الله ، الانجليز اعداء الله » وبينما امتطى الشيخ لافي فرسه شاهرا سيفه ، يتبعه رجاله بجلال وتؤدة وهم يشهرون بنادقهم من فوق خيولهم ، فانطلقت النساء اللواتي كن ينتحبـن بالزغاريد وهن يندفعن خلف الرجال نحو ساحة القرية ، كما لو كن يســـرن « بفاردة » دون ان يعرفن في البداية ما اذا كان الشيخ لافي قد قرر الزواج من « صبية » ليست من قرية البارد والرجال يزفونه ٠ وما ان وصلت « الزفـة » ساحة القرية ، حتى راح الدراويش يدورون بحلقات حول الشيخ لافي ، وهـم لا يزالون يضربون الطبول والصنوج ويلوحون بالاعلام ، الى ان انزل الشيـخ لافي سيفه ، فكفت الطبول والصنوج عن قرعها والاعـــلام نكست ، وتوقـــف الدراويش عن الدوران والتهليل ، بينما تعلقت عيون الجميع بالشيخ لافي ٠

ولكن العيون كلها ما لبثت ان تحولت نحو حسن المعتوه ، الذي تقـدم مـن فرس الشيخ لافي ، وتوقف فجأة وهو يدق الارض بقدميه يؤدي التحية ، وتنكته المعلقة في خزامه تهتز على خاصرته ، ثم سرعان ما استدار بوجه متجهم رافعا عصاه ، وراح يقرع تنكته ثلاثا صارخا « حي » ٠ قطع الجميع انفاسهم فـــي انتظار ما سيقوله وقد احسوا بانه مقبل على قول شيء جلل ، الا انـــــه راح يتأتىء « يا ٠٠ يا ٠٠ اهـ ٠٠ اهل البارد » ثم انطلق لسانه وهو يتابع بصوت مرتفع « الكبير يقول للصغير ان الشيخ لافي عين حاله ملك ، واعلن الحـــرب عالانجليز تا يطلعوا من بلادنا » ٠٠ ثم قرع تنكته ثلاثا ، واستدار نحو الشيـخ لافي يدق الارض بقدميه ثانية ، ويؤدي التحية ، بينما ارتفعت الطبول والصنوج وسط الزغاريد وخفق البيارق ، فرفع الشيخ لافي بندقيته في الهواء مطلقـــــا طلقة واحدة راحت تدوي في الجبال ، ثم استدار بفرسه واندفع بها نحو مغارة سويد ، وعباءته تخفق كالبيرق مع الريح خلفه ٠

□